﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ٣٣﴾ [الأنبياء: 33]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تـتـابـعُ آيـاتِ الـلـه الـدّالّـةِ عـلى وحـدانيَّتِه وتعدادُها تذكيرًا بنـعـمِه تـعـالى على الإنسانِ

لمّا ذكر السّماءَ ذكرَ ما ينشأُ منها، وذكر أعظمَ آياتِها في سياق تعدادِ الدّلائل على وحدانيَّة اللّه ونعمِه على النّاسِ فجاءت هذه الآية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَلَكٍ﴾: الفُلك هو السفينةُ، وأطلقَ على مجرى الكواكب ومدار النّجوم، وهو من مُصْطَلَحاتِ القُرْآنِ ومِنْهُ أَخَذَهُ عُلَماءُ الإسْلامِ وهوَ أَحْسَنُ ما يُعَبَّرُ عَنْهُ عَنِ الدَّوائِرِ المَفْروضَةِ الَّتي يُضْبَطُ بِها سَيْرُ كَوْكَبٍ مِنَ الكَواكِبِ وخاصَّةً سَيْرُ الشَّمسِ وسَيْرُ القَمَرِ، وتسميتُه بذلك لكونه كفلك البحرِ وهوَ المَوْجُ المُسْتَديرُ الذي يجيء ويذهبُ، ومنه سمّيت السّفينة فُلكًا، فأخذ الفَلَكُ من معنى الاستدارة والعلوِّ، والأظْهَرُ أنَّ القُرْآنَ نَقَلَهُ منه، بِتَنْزيلِ اسْمِ الجَمعِ مَنْزِلَةَ المُفْرَدِ، والأصْلُ الأصيلُ في ذَلِكَ كُلِّه فلْكَةُ المَغْزِلِ - بِفَتْحِ الفاءِ وسُكونِ اللّامِ - وهيَ خَشَبَةٌ مُسْتَديرَةٌ في أعْلاها مِسْمارٌ مَثْنِيٌّ يَدْخُلُ فيه الغَزْلُ ويُدارُ ليَنْفَتِلَ الغَزْلُ[2]، و﴿فَلَكٍ﴾ في الآية هو مجرى الكواكب والقطب الذي تدور به النّجوم[3].

2) ﴿يَسْبَحُونَ﴾: السّبحُ المرُّ السّريع في الماء، وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سَبْحاً وسِباحَةً، والأصلُ فيه هو الجري في الماء من غير انغماسٍ، والسّبح الجَريُ والدّوَران، واستعير السّبحُ لمرّ النّجوم في الفلك نحو:

(1) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 416.
(2) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (فلك)، وابن الهائم، التبيان، ص: 232.
(3) ابن الهائم، التبيان، ص: 232.

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: 40]، ولجري الفرس ولسرعة الذّهاب في العمل[1]، و﴿يَسْبَحُونَ﴾ في الآية بمعنى يَجْرون[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تفصيلُ ذكر آياتِ السّماء

واللّه خلقَ لكم اللّيل والنّهار نعمةً منه عليكم، وحجَّةً على عظيمِ سلطانِه، فهما يختلفان عليكم لصلاح معايشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشّمسَ والقمر، كلٌّ واحدٍ من النّجوم والشّمس والقمر يجري في فلَكِه كما يجري من يسبح في الماء، فالشّمسُ تجري في مدارها، والأرضُ تجري حولَ الشّمسِ في سنةٍ وحولَ نفسِها في يوم وليلة، والقمرُ يجري حول الأرض كلَّ شهر، وهكذا سائرُ النّجوم والكواكب[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الوصل بالواو في الآية:

تتابعُ الآيات على بيانِ الدّلائل على وجودِ الله تعالى ووحدانيَّتِه وبيان منّتِه تعالى على المخاطَبين

عُطِفَتِ الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ على قوله ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ بالواو؛ لاشتراكِهما في الجهة الجامعة، وهي بيانُ الدّلائل على وجودِ اللّه تعالى ووحدانيَّتِه وبيانُ منّتِه تعالى على المخاطَبين والنّاس أجمعين في خلقِه، وحسنِ تدبيرِه، وجاء الوصلُ بعطف الجملة الخبريّة على الجملة الخبريّة.

نكتةُ ذكرِ خلق اللّيل والنّهارِ بعد ذكر خلْقِ الأرضِ والسّماء:

ظاهرُ السّياقِ يدلُّ على سَبْقِ خلقِ المكانِ على الزّمانِ

في مجيء ذكرِ خلقِ الزّمان في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بعد ذكر خلقِ المكان في الآية السّابقة الذي يشمل الأرضَ والسّماء إيماءٌ إلى سبق خلقِ المكانِ على الزّمان، فإنَّ الواو في قولِه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ وإن لم تُفِدْ وجوبَ التّرتيب لكنَّ

(1) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سبح).
(2) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 365، وابن جرير، جامع البيان: 18/ 438.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 17/ 28.

ظاهرَ السّياق يومئُ إليه؛ لأنَّه ذكر أنَّ السّماواتِ والأرضَ كانتا رتقًا ففتقهما، ثم ذكرَ خلقَ الأرضِ والسّماء، ثمَّ بعد ذلك ذكر خلْقَ اللّيل والنّهار والفَلَكَ الذي يظهرُ به الزّمان، قال الزّركشيُّ" وهَذِه مَسألَةٌ مُهِمَّةٌ قلَّ مَنْ تَعَرَّضَ لَها أعني سَبقَ المَكانِ على الزَّمانِ وقَد صَرَّحَ بِها الإمامُ أبو جَعْفَرٍ الطَّبَريُّ في أوَّلِ تاريخِهِ"[1].

بلاغةُ الالتفاتِ:

تنبيهُ المخاطَبين إلى عِظمِ الآياتِ التي اعتادوا على ظهورِها والنّظرِ إليها

جاء الكلام في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ على طريق الالتفات حيث التفت من ضمير المتكلم (نا) في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ إلى ضمير الغائب (هوَ)[2]، ومنَ الإخبار بالجملة الفعلية ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ إلى الاسميَّة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ الموجِبِ لتأكيدِ الاعتناءِ بفَحْوى الكلامِ، وفائدتُه استدرارُ أسماع المخاطَبين وتأكيدُ الاعتناء بفحوى الكلامِ والتّنبيهُ إلى عِظمِ الآياتِ التي اعتادوا على ظهورِها والنّظرِ إليها والتي هم متلبِّسون فيها في جميع أوقات حياتِهم ومعاشِهم.

سببُ إيثار التّعبير بالقصر بتعريف المسنَد والمسنَد إليه:

المعبودُ هو الذي يَخْلقُ، ومَنْ لا يَخْلُقُ لا يُعبَدُ

لمّا جاء المسندُ والمسندُ إليه معرفتين في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ أفاد الإسنادُ القصرَ، وسُلك في الآية القصرُ؛ لأنَّ المخاطَبين قدِ اعتادوا على هذه الظّاهرة الكونيَّةِ، وعلى رؤية الشمس والقمر كلَّ يوم، فلا يتفكّرون فيها ولايعتبرون في أنَّ اللّه تعالى هو الذي خلقها، وهو قصرُ إفرادٍ إضافيٍّ بتخصيص خلقِ اللّيل والنّهار والشَّمسِ والقمر باللّه تعالى وذلك بتنزيل المخاطَبين منَ المشركين منزلةَ من يعتقدُ أنَّ أصنامَهم مشارِكةٌ للّه تعالى في خلق هذه الأشياء؛ للإيذانِ بأنَّ المعبود هو الذي يخلقُ، ولأنَّهم لمّا

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 3/ 242.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 65 - 66، والشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 438.

عبدوا الأصنامَ، والعبادةُ شكرٌ، لزمهم أنَّهم يشكرونها وقد جعلوا شركاءَ لله فلزمهم أنَّهم يزعمون أنَّها شريكةٌ لله في خلقِ ما خلقَ، لينتقل من ذلك إلى إبطال إشراكِهم إيّاها في الإلهيَّة[1]، وأفادَ القصرُ إثباتَ الخلق لله تعالى ووحدانيَّةَ الخالق.

الغرضُ من التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

ذكـرُ الـصّـلـةِ إحـضـارٌ للمِنّةِ العظيمة

عبّرَ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ لإحضاره في ذهن المخاطَبين بوساطة صلةِ الموصول ﴿خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ التي يعلم المخاطَبون انتسابَها إلى الله تعالى، للاستدلال بما هو معلوم عند المخاطَبين على وحدانيَّة الله تعالى وإفرادِه بالعبادة، وفيه كذلك إيماءٌ إلى وجه القصر الإفرادي، فكأنَّه قال: الذي خلق هذه الأشياءَ لاينبغي أن يُشرَكَ به، ويجبُ له التّفرّدُ بالألوهيَّة.

نكتةُ العُدول عن فعل الجعْلِ إلى فعل الخلقِ:

جـيء بـفـعـل الـجـعـل؛ لأنَّ القصد ذكرُ خلقِ هـذه الأشـيـاء لـذاتِـها لا ذكـرُ آثارِها

لمّا عُبِّرَ بفعل الجعل في قوله تعالى ﴿وَجَعَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ﴾ وقوله ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفَا مَّحۡفُوظَاۖ﴾ كان الظّاهرُ أن يعبَّر بفعل الجعل في هذه الآية أيضًا، لكنَّه عبّرَ بفعل الخلق فقال ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾، ونكتةُ العدول هي أنَّه لمّا كانتِ المِنَّةُ والعِبْرَةُ في إيجادِ نَفْسِ اللَّيْلِ والنَّهارِ، ونَفْسِ الشَّمسِ والقَمَرِ، لا في إيجادِها على حالَةٍ خاصَّةٍ، أي لمّا كان القصدُ ذكرَ خلقِ هذه الأشياء لذاتِها لا ذكرَ آثارِها أو بعضِ آثارِها جيءَ هُنا بِفِعْلِ الخَلْقِ لا بِفِعْلِ الجَعْلِ[2]، وأيضًا لمّا كانت آيةُ الليل والنّهار والشّمس والقمر قدِ اعتاد المخاطَبون عليها جيء بفعل الخلقِ الدّالِّ على الإيجاد والإنشاء ابتداءً تعظيمًا لشأنِ هذه الآياتِ التي لا ينبغي الغفلةُ عنها، وإيذانًا بأنَّها وحدَها تكفي دليلًا على وجودِ الله تعالى ووحدانيَّتِه.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 59.

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9/ 871، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 59.

سرُّ البدءِ بذكر خلقِ اللّيل قبل النّهار:

لمّا كان العَدَمُ سابقًا لِلْوُجودِ بدأ بذكرِ خلق اللّيل الذي هو ظلمةٌ قبل ذكر خلقِ النّهار

في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بدأ بذكر خلق اللّيل قبل خلق النّهار، والسّرُّ فيه هو أنَّه لمّا كانَ اللّيلُ جزئيًّا مِنْ جُزْئيّاتِ خَلْقِ الظُّلْمَةِ الَّتي أوْجَدَ اللّه الكائناتِ فيها قَبْلَ خَلْقِ الأجْسامِ الَّتي تُفيضُ النّورَ على المَوْجوداتِ، فإنَّ الظُّلْمَةَ عَدَمٌ والنّورَ وُجوديٌّ وهوَ ضِدُّ الظُّلْمَةِ، والعَدَمُ سابِقٌ لِلْوُجودِ بدأ بذكر خلق اللّيل الذي هو ظلمةٌ، والظّلمةُ هي الحالة السّابقةُ لوجود الأجرام النّيّرة، واللَّيْلُ ظَلَمَةٌ تَرْجِعُ لِجُرْمِ الأرْضِ عِنْدَ انْصِرافِ الأشِعَّةِ عَنِ الأرْضِ[1].

بديعُ المقابلةِ بين اللّيل والنّهار والشّمس والقمر:

العلاقةُ الضّدّيةُ المتناغمةُ سرُّ صلاحِ الكون للإنسان

في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ قوبل بين اللّيل والنّهار لظهور منَّة الخلق فيهما وفي المقابلة بينهما، فإنَّه لا تظهرُ المنَّة على النّاسِ ظهورًا بيّنًا بليغًا إلّا عند تصوّر المقابلة، فلكلِّ نوعٍ منافعُه وآثارُه، كما أنَّ تعاقبَهما له منافعُ كذلك، وأمّا مناسبةُ ذِكرِ خلقِ القمرِ مقابلَ خلقِ الشّمسِ فهي الإشعارُ بالعلاقة الكونيَّة بين الشّمس والقمر فيما يتعلَّق بمنافع أهلِ الأرضِ، كما أنَّ فيها تذكيرًا بمنَّة إيجادِ ما ينيرُ على النّاس بعضَ النّور في بعضِ أوقاتِ الظّلمة[2].

التّوجيهُ النّحويّ بين الاستئناف والحاليَّة:

ذكرُ الأضداد يثير سؤالًا عن كيفيةِ تناغُمها

تحتملُ جملة ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ أن تكون استئنافًا بيانيًّا؛ وهو الظّاهر؛ لِأنَّهُ لَمّا ذَكَرَ الأشْياءَ المُتَضادَّةَ بِالحَقائِقِ أوْ بِالأوْقاتِ ذِكْرًا مُجْمَلًا في بَعْضِها الَّذي هوَ آياتُ السَّماءِ، ومُفَصَّلًا في بَعْضٍ آخَرَ وهوَ الشَّمسُ والقَمَرُ، وكانَ المَقامُ مُثيرًا في نُفوسِ السّامِعينَ سُؤالًا عَنْ كَيْفيَّةِ سَيْرِها وكَيْفَ لا يَقَعُ لَها اصْطِدامٌ أوْ يَقَعُ مِنْها تَخَلُّفٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 59.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 60.

عَنِ الظُّهورِ في وقْتِه المَعْلومِ، فأُجيبَ بِأنَّ كُلَّ المَذْكوراتِ لَهُ فضاءٌ يَسيرُ، والذي حسَّن كونَ الجملة استئنافًا جريانُها جريانَ المثل في حكايتِه والتّمثيل به، فالمعنى الذي جاء به السّياقُ خاصٌّ واللّفظ عامٌّ، كما تحتمل أن تكون حالًا من الشّمس والقمر، وجاز انفرادُهما بهذه الحالِ مع عطفهما على اللّيل والنّهار لعدم اللَّبْس؛ لأنَّ اللّيل والنّهار زمانٌ فلا يُتصوَّر فيهما السَّبحُ في الفلك أصلًا، ففي تنوّع التّوجيه ثراءٌ للمعنى[1].

الغرضُ من الحذفِ المعوّضِ عنه بالتّنوين في قولِه ﴿كُلٌّ﴾:

التّنوينُ في قولِه ﴿كُلٌّ﴾ عِوَضٌ عَنِ المُضافِ إلَيْهِ، وحذفُ المضافِ يفيد الإيجازَ، ويحتمل أن يعود إلى الشّمس والقمر فيكون التقدير: (كلُّ واحدٍ منهما)، ويحتمل أن يعود على المجرّاتِ والنّجوم والكواكب ويدخلُ فيها الشّمس والقمر دخولًا أوليًّا، والتّقدير: (كلُّهم أو كلُّ تلكَ)، فيثبت معنى الجمع على ظاهره في لفظ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ وتكونُ المجرّات والنُّجوم مذكورةً لعوْدِ الضّمير إليها[2].

الحذفُ إيجازٌ وحملٌ على التّدبّر، وتقديرِ المحذوف

الغرضُ من تنكير ﴿فَلَكٍ﴾:

جاء لفظُ ﴿فَلَكٍ﴾ في قولِه ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ منكّرًا للتّعميم بقرينة كونِه في سياق لفظِ العموم ﴿كُلٌّ﴾، دلَّ على أنَّ المرادَ منه اسمُ الجنسِ بمعنى أنَّ كلَّ واحدٍ من الشّمس والقمر وغيرِهما من النَّجوم له فلَكٌ على حِدَةٍ، فاكتُفي بما يدلُّ على الجنس اختصارًا، ولأنّ الغرضَ الدّلالةُ على الجنسِ.

من بديع خلقِ الله أن جعلَ لكلِّ واحدٍ من الشّمس والقمر وغيرِهما من النّجومِ فلَكًا على حِدَةٍ

بلاغةُ الاستعارة:

لفظ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ في قوله ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ مُسْتَعارٌ للسَّيرِ

سيرُ الكواكبِ وغيرِها في السّماء مثلُ السّابح الذي لا ينغمسُ في الماء ولا يخرجُ منه

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 115، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 66، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 517.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 115، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 141، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 60.

في متَّسَعٍ لا طرائقَ فيه مُتلاقيةً كطرائقِ الأرضِ، فشبَّه جريانَ هذه الآياتِ بمن يسبحُ في اليمّ؛ لأنَّه يجري في فلكه بقدرة أودعَها فيه، وبنظام ثابت، ووجهُ الشّبه الجريُ المعروف في السّباحة والدّورانُ وعدمُ الانغماسِ، ثمَّ حذف المشبَّه وذكرَ المشبَّه به على طريق الاستعارة التّصريحيَّة التّبعيَّةِ، والغرضُ من التّشبيه راجعٌ إلى المشبَّه، وهو سرعةُ سيرِ الكواكبِ في الفضاء الواسعِ العظيم وتقريبُها للمخاطبين وبيانُ أنَّها لا تنغمسُ ولا تخرج عن مجالِها كحالِ السّابحِ لا ينغمسُ في الماء ولا يخرج منه، وعبّرَ بضمير الجمع الذي للعاقل(الواو) ترشيحًا للاستعارة؛ فلم يُقَل: (كلّ في فلكٍ يَسبحن أو تسبحُ)؛ لأنَّ السّابح عاقل يدخل في العقلاء عادةً، فلمّا وُصفتِ الشّمس والقمر بالسّباحةِ التي تكون مكتسبةً، فهي من أفعال العقلاء، جُمع جَمعَ العقلاء، وأجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم فعبِّر بضمير الجمع الواو، وهذا التّوجيهُ ممّا أجمع عليه علماءُ اللّغة والمعاني، ومثلُه قولُه تعالى ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤﴾ [يوسف: 4][1]، وحسَّن مجيءَ الفعلِ مسندًا إلى ضمير الجمع مراعاةُ الفاصلة ورؤوسِ الآي.

وقد يقال إنَّ تشبيهَ جريِ الشّمسِ والقمر والنّجوم بمن يسبح في اليمِّ ضعيفٌ؛ لأنَّ جريَها أسرعُ من جري السّابح في اليمِّ؟، وجوابُه أنْ يقالَ إنَّه لمّا كان حقُّ التّشبيه أن يكون المشبَّه به أقوى أو اعرفَ أو أشهرَ من المشبَّه جاء التّشبيه في الآية من النّوع الثّاني الذي هو أعرفُ عند المخاطَبين، والقصدُ هو بيانُ طريقة جري هذه الأشياء في الفَلَكِ، فليس النّظرُ إلى الأقوى أوِ الأسرع بلِ النّظرُ إلى الأعرف عند المخاطَبين، فجاء التّشبيه على وجهه في كون المشبَّه به أبلغَ من حيث إنَّه أعرفُ من المشبَّه وأظهرُ لكونِه محسوسًا[2].

دلالةُ عودِ الضّمير:

إن كان المضافُ المحذوف في قولِه ﴿كُلٌّ﴾ يعود إلى الشّمسِ والقمر كان التّعبير بضمير الجمع في قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ للإشارة إلى طوالع الشمس والقمر المتكرّر الذي جعلهما جمعا، ولأنَّ الطّوالع تختلف معها الشّمس، فتكون الشّمس قريبةً من الأرض في أحد مطالعها وتكون بعيدةً عنها في مطلع آخر، والقمر يبدو في النَّظر هلالًا، ثمّ يكبر حتى يصير بدرًا؛

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 439، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 391، والواحدي، التفسير البسيط: 15/ 69.
(2) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 439، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 517.

ولذلك كانتِ الشّمس والقمر بمطالعهما متعددين، فصحّ أن يعود إليهما الضّمير ضميرَ جمع، فالجمع باعتبار تعدّدِ المطالع، فهو اعتباريٌّ، وإن كان المضاف المحذوف يعود إلى مجموعِ آياتِ السماء وخصوص الشّمس والقمرِ، فالمرادُ كلٌّ تلك في فلكٍ يسبحون[1].

اختلافُ المعنى باختلاف عودةِ الضّمير

تنوّعُ إعراب ﴿يَسْبَحُونَ﴾ وثراءُ المعنى:

الجملة الفعليةُ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ في قوله ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، يتنوَّع إعرابُها، وينبني على هذا التّنوّع ثراءُ المعنى، وبيانُه أنَّ لفظ ﴿كُلٌّ﴾ مبتدأٌ وخبره يحتملُ أن يكون ﴿فِي فَلَكٍ﴾ أو جملة ﴿يَسْبَحُونَ﴾، أو على تعدّد الخبر[2]، فإذا كان الخبرُ شبهَ الجملة ﴿فِي فَلَكٍ﴾ كانت جملةُ ﴿يَسْبَحُونَ﴾ حالًا، بمعنى أنَّ الله تعالى خلقَ كلَّ واحدٍ من النّجوم والشّمس والقمر في فلكٍ وهي بهيئةِ السّباحة في فلكِها، فالحال مقارنةٌ للخلقِ، وإذا كان ﴿يَسْبَحُونَ﴾ خبرًا كان ﴿فِي فَلَكٍ﴾ حالًا متقدِّمًا على عاملِه، بمعنى أنَّه تعالى خلق هذه الأشياء سابحةً في فلكِها، وأفاد تقديمُ الجارّ والمجرور القصرَ بمعنى أنَّ لكلٍّ واحدٍ منها فلكًا على حدةٍ، وأنّها لاتسبحُ إلّا في فلكِها إلى أن يأذن الله تعالى بالقيامةِ، كما يحتمل أن يكون ﴿فِي فَلَكٍ﴾ خبرًا أوّلَ و﴿يَسْبَحُونَ﴾ خبرًا ثانيًا، ليفيدَ تعدّدَ الدّلائل والمنن وتكثّرَهما.

وجـوهُ الإعـراب تثري المعنى مع إيجاز اللّفظ

بديعُ الجناسِ المقلوبِ:

مِنْ بَدائِعِ الإعْجازِ في هَذِه الآيَةِ أنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ فيه مُحَسِّنٌ بَديعيٌّ فإنَّ حُروفَهُ تُقْرَأُ مِنْ آخِرِها على التَّرْتيبِ كَما تُقْرَأُ مَنْ أوَّلِها، مَعَ خِفَّةِ التَّرْكيبِ ووَفْرَةِ الفائِدَةِ وجَرَيانِه مُجْرَى المَثَلِ مِنْ غَيْرِ تَنافُرٍ ولا غَرابَةٍ، مع ملاحظة أنَّ المشدَّد من الحروفِ كالمخفَّف،

حـروفُ قـولِـه تـعـالى (كُـلٌّ في فـلَـكٍ) تُـقْـرَأُ مِـنْ آخِـرِهـا عـلى التَّرْتيبِ كَما تُقْرَأُ مَنْ أوَّلِها

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 115، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 517، وابن التمجيد، حاشيته على البيضاوي: 12/ 517.

(2) أبو البقاء العكبري، التبيان: 2/ 1082، والمنتجب الهمذاني، الكتاب الفريد: 4/ 487، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 50.

ومن حسن هذا النّوع من الجناس حصولُ الدّهشة به والاستغراب عند السّامع، فيستدعي ميلَه إلى حسنِ الإصغاء والتّنبُّه إلى المعنى، ومِثْلُهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدّثر: 3] بطَرْحِ واوِ العَطْفِ، وكِلْتا الآيَتَيْنِ بُنِيَ على سَبْعَةِ أحْرُفٍ، ولم يذكرِ الأدباءُ وأهلُ المعاني أنَّه قد وقع في كَلامِ العَرَبِ، فهوَ مِنْ مُبْتَكَراتِ القُرْآنِ[1]، وليس في القرآن سوى هاتين الآيتين على هذا النّوع منَ البديع.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الجعل والخلق:

الجعلُ هو إيجادُ شيءٍ من شيءٍ، فهو محصَّلٌ من آخرَ كأنَّه من ضمنِه، ولهذا عبِّرَ بعد فتق السماوات والأرضِ بالجعل دون غيرِه، كما أنَّ الجعلَ فيه معنَى الإبداع الذي يكون آيةً على قدرةِ الجاعلِ وعظيمِ فعلِه، ففيه معنى التّقدير والتّسوية، والجَعْلُ خلقٌ لأمرٍ موصوفٍ بوصفٍ معيّنٍ، فهو خلق لأمر أراده اللّه تعالى في التّكوين، وهو أن يكون لأمر نافعٍ للعباد، وأمّا الخلقُ فهو إيجادٌ وإنشاءٌ[2].

الجعلُ إيجادٌ وإبداعٌ، والخلقُ إيجادٌ وإنشاءٌ

(1) البهاء السبكي، عروس الأفراح: 2/ 305، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 71 - 72.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/ 78، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4856.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»